

﴿ حظر الشحاذة والسؤال والذل لغير الله ﴾

فصل من فصول كتاب (مدارج السالكين . بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) للإمام المحقق ابن القيم . ذكره في بحث منزلة الرضاء بالله ومن الله ، فخر المسألة به تحريرا كعادته ، قال أجزل الله ثوابه :

(فصل) والمسئلة في الأصل حرام ، وإنما أبيحت للحاجة والضرورة ، لأنها ظلم في حق الربوبية وظلم في حق المسئول ، وظلم في حق السائل

(أما الاول) فإنه بذل سؤاله وفقره وذلّه واستعطاءه لغير الله ، وذلك نوع عبودية ، فوضع المسئلة في غير موضعها وانزلها بغير أهلها ، وظلم توحيدده وخلاصه وفقره الى الله وتوكله عليه ورضاه بقسمه ، واستغنى بسؤال الناس عن مسئلة رب الناس ، وذلك كله يهضم من التوحيد ويطفى نوره ويضعف قوته

(وأما ظلمه) المسئول فإنه سأله ما ليس له عنده ، فأوجب له بسؤاله عليه حقا لم يكن له عليه ، وعرضه لشقة البذل أولوم المنع ، فإن اعطاه اعطاه على كراهة ، وإن منعه منه على استحياء وانغاض . هذا اذا سأله ما ليس عليه ، وأما اذا سأله حقا هو له عنده ، لم يدخل في ذلك ، ولم يظلمه بسؤاله .

(وأما ظلمه لنفسه) فإنه أراق ماء وجهه ، وذل لغير خالقه ، وأنزل نفسه ادنى المنزلاتين ، ورضي لها بأبخس الخالين ، ورضي باسقاط شرف نفسه وعزة تعففه وراحة قناعته ، وباع صبره ورضاه وتوكله وقنعه بما قسم له واستغناءه عن الناس بسؤالهم ، وهذا عين ظلمه لنفسه ، إذ وضعها في غير موضعها ، وأخل شرفها ، ووضع قدرها ، وأذهب عزها ، وصغرها وحقرها ، ورضي أن تكون نفسه تحت نفس المسئول ، ويده تحت يده ، وأولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع . وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في

وجهه مزعة لحم « وفي صحيح مسلم عن (١) أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس أموالهم تكثرا ، فإنما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب على ظهره خير له من ان يأتي رجلا فيسأله ، أعطاه أو منعه » وفي صحيح مسلم عنه أيضا قول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يفتدوا أحدكم فيحطب على ظهره فيصدق به ، ويستغني به عن الناس ، خير له من ان يسأل رجلا ، أعطاه أو منعه ذلك فمن (٢) اليد العليا خير (٣) من اليد السفلى وابدأ بمن تعول - زاد الامام أحمد - ولأن يأخذ ترابا فيجعله في فيه خيرا له من ان يجمل في فيه ما حرم الله عليه » وفي صحيح البخاري عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها (٤) وجهه ، خير له من ان يسأل الناس اعطوه أو منعه » وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم . حتى نفد ما عنده ، فقال لهم حين انفق كل شيء بيده « ما يكون عندي من خير فان ادخره عنكم ، ومن يستغنى (٥) بعنه الله ، ومن يستغن بعنه الله ، ومن يتصبر بصبره الله ، وما أعطي احد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » وعن عبد الله بن عمر (٦) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ، وذكر الصدقة والتنفق عن المسئلة (٧) « اليد العليا خير من اليد السفلى ، فاليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة » رواه البخاري ومسلم .

(١) في الحجازية « عنه أيضا » وهو الحديث الآتي « لان يفتدوا أحدكم » الخ
 حذفت منها حديثان (٢) في نسختنا والبندادية « بان » وفي الحجازية « فان »
 (٣) في البندادية « افضل » (٤) حذفت من الحجازية اسم الجلالة (٥) في غير الحجازية « يستغنى » (٦) وفي غيرها « ابن عامر » وهو غلط (٧) وفي غيرها « والمسئلة »

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سأله فأعطاني ثم قال « يا حكيم ! ان هذا المال خضيرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف (١) نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » قال حكيم فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا . وكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا الى العطاء فيأبى ان يقبله منه ، ثم ان عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى ان يقبل منه شيئا ، فقال عمر : ابي اشهدكم يا ميسر المسلمين على حكيم أني اعرض عليه حقه من هذا الفداء ، فيأبى ان يأخذه . فلم يرزأ حكيم احدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي . متفق على صحته .

وعن الشعبي قال حدثني كاتب المنيرة بن شعبة ، قال كتب معاوية الى المنيرة ابن شعبة ان اكتب الي شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله كره لكم ثلاثا . قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه البخاري ومسلم . وعن معاوية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تاحفوا في المسئلة ، فوالله لا يسألني احد منكم شيئا فتخرج له مسأله مني شيئا وانا له كاره فيبارك له فيما اعطيته » - وفي لفظ - انما انا خازن ، فمن اعطيته عن طيب نفس يبارك له فيه ، ومن اعطيته عن مسئلة وشراء كان كالذي يأكل ولا يشبع » رواه مسلم .

وعن ابي مسلم الخولاني قال حدثني الحبيب الامين - اما هو فحبيب الي واما هو عندي فأمين - عوف ابن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسعة او ثمانية او سبعة فقال « ألا تباعون رسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم - وكنا حديث عهد ببيعة - قلنا قد بايعناك يا رسول الله . قال « ألا تباعون رسول الله ؟ » قلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال . - الا

(١) في البغدادية « بإشراف » والرواية بالجمع . ومعنى الأشراف التطلع

الى الشيء بحرص

تبايعون رسول الله؟ - قال فبس - طنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلى م نبايعك؟ - قال . أنت تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات (١) الخمس وتطيّبوا الله - واسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً « فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احداً يناوله اياه . رواه مسلم .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المسئلة كد يكذبها الرجل وجهه الا أن يسأل الرجل سلطاناً او في امر لا بد منه » رواه الترمذي وقال . حديث حسن صحيح .

وفي مسند الامام احمد عن زيد بن عقبة الفزاري ، قال دخلت على الحجاج ابن يوسف الثقفي فقلت : أصلح الله الأمير ، ألا أحدثك حديثاً سمعته من سمرة ابن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى ، قال سمعته يقول « المسائل كد يكذب بها الرجل وجهه ، فمن شاء ابقى على وجهه ومن شاء ترك ، إلا أن يسأل رجل ذا سلطان ، او يسأل في امر لا بد منه »

وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يتقبل لي بواحدة اتقبل (٢) له بالجنة - قلت انا . قال - لا تسأل الناس شيئاً « فكان ثوبان يقيم سوطه وهو راكب فلا يقول لاحد ناولنيه ، حتى ينزل هو فيتناوله . رواه الامام احمد واهل السنن . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن انزلها بالله اوشك الله له بالنعى ، اما بموت عاجل او غنى عاجل » رواه ابوداود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح (٣)

وعن سهل بن الحنظلية قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عينته بن حصن والاقرع بن حابس فسألاه فامر لها بما سألا ، وأمر معاوية فكتب لهم بما سألا ، فأما الاقرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق ، واما عينته فأخذ كتابه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه ، فقال : يا محمد أراني حاملها الى قومي كتاباً .

(١) في البغدادية « وتطيّبوا الصلوات » (٢) كان نص نسختنا « واتقبل »

(٣) حذف من البغدادية - لفظ حسن -

لا أدري ما فيه كصحيفة المناسم ، فأخبر معاوية بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأله عنده (١) ما يقنيه فإنما يستكثر من النار - وفي لفظ آخر - من جرحهم » قالوا : يا رسول الله ! وما يقنيه ؟ - وفي لفظ - وما القنى الذي لا تنبغي معه المسألة ؟ قال - قلدر ما يقديه ويعشيه - وفي لفظ - ان يكون له شبع يوم ليلة » رواه ابو داود والامام احمد .

وعن ابي الفراس (٢) قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أسأل يا رسول الله ؟ قال « لا ، وأن كنت سائلا لا بد فسل (٣) الصالحين » رواه النسائي .
وعن قبيصة بن مخارق الهلالي ، قال : تحملت حمالة فأنبت النبي صلى الله عليه وسلم أسأله فقال « أقم حتى تأتينا الصدقة فأمر لك بها - قال ثم قال - يا قبيصة إن المسئلة لا تحمل إلا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحملت له المسئلة حتى يصبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحملت له المسئلة حتى يصب قواما من عيش ، - او قال - سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة ، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحملت له المسئلة حتى يصب قواما من عيش - او قال - سدادا من عيش ، فما سواهن من المسئلة يا قبيصة سخنا يأكلها صاحبها سخنا » رواه مسلم .

وعن عائذ بن عمرو ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله فاعطاه ، فلما وضع رجله على اسكفة الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو يعلمون ما في المسئلة ما مشى احد إلى احد يسأله شيئا » رواه النسائي .
وعن مالك بن نضلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الايدي ثلاثة - بيد الله العليا ، وبيد المعطي التي تليها ، وبيد السائل السفلى ، فأعط الفضل ولا

(١) في البغدادية « وله » بدل « وعنده » (٢) في البغدادية « وعند ابن الفراس ان الفراس » والصواب « وعن ابن الفراسي أن الفراسي » . وفي الاصابة ان البخاري سماه فراسا . وأطلق عليه غيره لفظ الفراسي . فقيل هو اسم وقيل نسب والاسم مجهول ، وعزى الحديث الى ابن ماجه وابن حبان ، أقول : وهو في أبي داود أيضا (٣) وفيها « فاسأل »

تخرج من نفسك» رواه الامام احمد وأبو داود .

وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سأل مسألة وهو عنها غني كانت شينا في وجهه يوم القيامة » رواه الامام احمد . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث والذي نفس محمد بيده ان كنت لخالفنا عليهن : لا ينقص مال من صدقة ، فتصدقوا ، ولا ينفو عبد عن مظلمة يتبغي بها وجه الله الا رفعه الله بها ، ولا يفتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر » رواه الامام احمد .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سرحني أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله . فأثبته ففعدت - قال - فاستقباني فقال « من استغنى اغناه الله ، ومن استعف اعفه الله ، ومن استكفى كفاه الله ، ومن سأل وله فية اوقية فاقد الحف » فقلت ناقتي هي خير من اوقيه ، ولم أسأله . رواه الامام احمد وابو داود (١) . وعن خالد بن عدي الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه من اخيه معروف من غير اشراف ولا مسألة فليقبله ولا يرده . فأما هو رزق ساقه الله اليه » رواه الامام احمد .

(١) هذا الحديث لم يخرج أبو داود وإنما أخرج حديثه المتفق عليه في سؤال الانصار وتقدم في ص ١٣٠ وأما هذا الحديث فمزاه الحافظ في الفتح الى النسائي . وامل هذا من سهو النساخ لا الاصنف ، اذ رأيت في هذه الاحاديث اغلاطا كثيرة صححتها على الاصول